Black plate (74,1)

القــرآن

القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦]، وقال ﷺ وهو يعرض نفسه على القبائل في الموسم: «**ألا رجلٌ يحمِلُني إلى قومِهِ، فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أُبلِّغَ كلامَ ربِّي**» رواه الخمسة[(١)].

فالقرآن كلام الله تعالى حقيقةً؛ حروفه، ومعانيه، لا يشبه كلام المخلوقين، منزل غير مخلوق، تكلم الله به ابتداءً، وأوحاه إلى الروح الأمين، جبريل، فنزل به على قلب محمد ﷺ، مفرقاً، فقرأه على الناس. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وإذا تلاه الناس، أو كتبوه في المصاحف، أو حفظوه في الصدور، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة؛ فإن الكلام إنما يُنسب حقيقةً إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، فالتلاوة غير المتلو، والكتابة غير المكتوب، والحفظ غير المحفوظ، وهكذا سائر التصرفات، فالفعل فعل القارئ أو الكاتب أو الحافظ، والكلام كلام البارئ. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ

(١) أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٢)؛ وأبو داود برقم (٤٧٣٤)؛ والترمذي برقم (٢٩٢٥)؛ والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٦٨٠)؛ وابن ماجه برقم (٢٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

Black plate (75,1)

مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٢ ـ ١٠٣]، وقد أكفر الله من نسبه إلى قول البشر، وتوعده بسقر، فَقَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦].

وقد ضلَّ في هذا الباب طائفتان:

إحداهما الجهمية والمعتزلة

الذين أنكروا صفات الله، ونفوا كلامه، وزعموا أن إضافة الكلام إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق؛ كعبد الله، وبيت الله، وناقة الله، لا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

والرد عليهم: أن المُضاف إلى الله، إما أن يكون عيناً قائمة بذاتها، فيكون من إضافة المخلوق لخالقه، وإما أن يكون وصفاً لا يُتصور قيامه بنفسه، مثل الحياة والسمع والبصر والعلم والكلام، فيكون من إضافة الصفة إلى المتصف بها. مع مخالفة ما ادعوه للكتاب والسنة والإجماع.

الثانية الصفاتية من الكُلَّابِيّة والأشاعرة والمَاتُرِيْدِيّة

الذين أثبتوا كلام الله بأنه المعنى القديم القائم في نفسه، وأما الحروف والأصوات فمخلوقة لتُعبر، أو لتحكي ذلك المعنى القديم الذي لا يتجدد، ولا يتعلق بمشيئته.

فقصروا الكلام على المعاني دون الحروف والأصوات، وجعلوا ما سمعه الأبوان في الجنة، وما سمعه موسى عند الشجرة مخلوقاً، لا كلام الله حقيقة!.

والرد عليهم: أن الكلام لا يُطلق إلا على مجموع الأمرين، ولا يسمى حديث النفس كلاماً حقيقة. مع مخالفة ما قالوه للكتاب والسنة والإجماع.

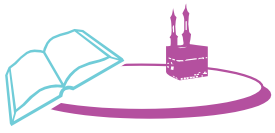

Black plate (76,1)

الرؤية

ومن الإيمان بالله واليوم الآخر الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، عياناً بأبصارهم، من غير إحاطة، في موضعين:

أحدهما: في عَرَصات القيامة، أي: مواقف الحساب.

والثاني: بعد دخولهم الجنة.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥﴾ [المطففين: ٢٣]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم[(١)]، وقال ﷺ ـ لمَّا نظر إلى القمر ليلة البدر ـ: «**إنكم سترونَ ربكم كما ترونَ هذا القمرَ، لا تُضَامون في رؤيته**» متفق عليه[(٢)].

وقد ضلَّ في هذا الباب طائفتان:

إحداهما نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ومَن وافقهم من الرافضة والإباضية

فقد أنكروا الرؤية، واستدلوا بقوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١) من حديث صُهيب رضي الله عنه، وانظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٥٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٥٤)؛ ومسلم برقم (٦٣٣) من حديث جرير رضي الله عنه.

Black plate (77,1)

والرد عليهم: أن المراد بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾؛ أي: في الدنيا، كما طلب، ولا يلزم مِن (لن) النفي المؤبد. وأن نفي الإدراك: نفي للإحاطة لا نفي للرؤية؛ فقد تقع الرؤية ولا يقع الإدراك، كما في رؤية الشمس، والقمر والجبل، ونحوها، مع تواتر النصوص القرآنية والنبوية على إثبات الرؤية.

الثانية الخُرافيون من الصوفية والمبتدعة

الذين غلوا في إثبات الرؤية، وسوغوا وقوعها في الدنيا لأوليائهم، ورووا في ذلك الأحاديث الموضوعة. وقد قال ﷺ: «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم ﷻ حتى تموتوا**»[(١)].

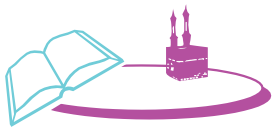

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٢٨٦٤)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٧١٦)، والآجري في الشريعة برقم (٨٨١) واللفظ له، من حديث عبادة رضي الله عنه. وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

Black plate (78,1)

حقيقة الإيمان

١ **الإيمان قول وعمل**؛ قول القلب، واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح.

- **فقول القلب**: اعتقاده، وتصديقه، وقبوله.
- **وقول اللسان**: التلفظ بكلمة الإسلام، والاستعلان بالشهادتين.
- **وعمل القلب**: ما يقوم به من النيات والإرادات؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل.
- **وعمل اللسان**: ما يلهج به من الذكر، والدعاء، والتلاوة.
- **وعمل الجوارح**: ما تتحرك به الأعضاء من العبادات البدنية.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ ـ أو بضعٌ وستون ـ شعبةً؛ فأفضلُها قولُ: لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**» أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم[(١)].

(١) أخرجه البخاري برقم (٩)؛ ومسلم برقم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

Black plate (79,1)

فالإيمان له حقيقة مركبة مِن القول والعمل، فهو تصديق مستلزم للقول والعمل. فانتفاء القول والعمل دليل على انتفاء التصديق.

٢ **والإيمان عند الانفراد**، مرادف للإسلام عند الانفراد، فإن كلّاً منهما يعني الدين كله. وأما عند الاقتران، فالإيمان يعني الاعتقاد الباطن، والإسلام يعني العمل الظاهر، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

٣ **والإيمان يزيد وينقص**؛ يزيد بالعلم بالله، والتفكر في آياته الكونية، والتدبر لآياته الشرعية، وفعل الطاعات، وترك المعاصي، وينقص بالجهل بالله، والغفلة عن آياته الكونية، والإعراض عن آياته الشرعية، وتضييع الطاعات، واجتراح السيئات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح: ٤].

٤ **والإيمان يتفاضل**، وبعض خصاله أعلى من بعض، كما في الحديث المتقدم: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ ـ أو بضعٌ وستونَ ـ شعبةً؛ فأفضلُها قولُ: لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**» أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم[(١)].

٥ **وأهله فيه متفاضلون**؛ بعضهم أكمل إيماناً من بعض، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ

(١) تقدم ص(٧٨).

Black plate (80,1)

ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال ﷺ: «**أكملُ المؤمنين إيماناً: أحسنُهُم خُلُقاً**» رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي[(١)].

فمن أتى بالشهادتين معتقداً معناهما، ملتزماً مقتضاهما، فقد أتى بأصل الإيمان. ومن فعل الواجبات، وترك المحرمات، فقد أتى بالإيمان الواجب. ومن فعل الواجبات، والمستحبات، وترك المحرمات، والمكروهات، فقد أتى بالإيمان الكامل.

٦ والاستثناء في الإيمان؛ بأن يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله» له ثلاثة أحوال:

- **أحدها**: إن قاله شاكّاً في أصل الإيمان: فالاستثناء محرَّم، بل كُفر؛ لأن الإيمان جزم.
- **الثاني**: إن قاله خوفاً من تزكية النفس بادعاء تحقيق الإيمان الواجب أو الكامل، فواجب.
- **الثالث**: إن قاله تبركاً بذكر المشيئة، فالاستثناء جائز.

٧ ولا يزول وصف الإيمان بمطلق المعاصي والكبائر، بل تنقصه، مع بقاء أصله؛ فمرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، لا يخرج من الملة في الدنيا، ولا يخلد في النار في الآخرة، بل يكون تحت المشيئة؛ إن شاء عفا الله عنه بفضله، ورحمته، وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ومآله إلى الجنة، أو ببعض ذنبه، فيخرج بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

(١) أخرجه أحمد برقم (٧٤٠٢)؛ وأبو داود برقم (٤٦٨٢)؛ والترمذي برقم (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

Black plate (81,1)

وقال ﷺ: «**يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ. ثم يقولُ اللهُ تعالى: «أخرجُوا مَن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ. فيُخرجُونَ منها قد اسوَدُّوا، فيُلْقَونَ في نهرِ الحيا ـ أو الحياةِ ـ**» رواه البخاري[(١)]، وقال ﷺ: «**يَخرجُ مِنَ النارِ مَن قالَ: لا إله إلا اللهُ، وفي قلبه وزنُ شعيرةٍ من خيرٍ، ويَخرجُ مِنَ النارِ مَن قال: لا إله إلا اللهُ، وفي قلبه وزنُ بُرَّةٍ من خيرٍ، ويَخرجُ من النارِ من قال: لا إله إلا اللهُ، وفي قلبه وزنُ ذَرَّةٍ من خيرٍ**» رواه البخاري[(٢)]. وفي رواية: «**من إيمان**»[(٣)]، مكان «**من خير**».

وقد ضل في هذه المسألة طائفتان:

➢ الأولى: **الوعيدية:** القائلون بإنفاذ الوعيد، وإنكار الشفاعة في حق مرتكبي الكبائر، من عصاة الموحدين، وهم صنفان:

١ ـ الخوارج: القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ودخل الكفر. فهو كافر في الدنيا، خالد في النار في الآخرة.

٢ ـ المعتزلة: القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر. فهو في منزلة بين منزلتين في الدنيا؛ لا مؤمن ولا كافر! خالد في النار في الآخرة!

والرد على الوعيدية من وجوه، منها:

أولاً: أن الله تعالى أثبت الإيمان، وأبقى وصف الأخوة الإيمانية لمرتكب الكبيرة، في الدنيا، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ

(١) برقم (٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) برقم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٣) ذكرها البخاري بعد الرواية السابقة معلقة مجزوماً بها.

Black plate (82,1)

شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فسمى القاتل أخاً للمقتول، وكما في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠]، فنسب الطائفتين المقتتلتين إلى الإيمان، وأثبت لهما أخوة الإيمان.

ثانياً: أن الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ويُخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، كما تواترت بذلك أحاديث الشفاعة.

➢ **الثانية**: **المرجئة:** القائلون بإرجاء الأعمال، أي تأخيرها، عن مسمى الإيمان، فالعمل عندهم، لا يدخل في تعريف الإيمان، وحقيقته. وهم في تعريف الإيمان أصناف:

١ ـ **الجهمية**: تصديق القلب، أو معرفة القلب، فقط، فلا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

٢ ـ **الكرَّامية**: نطق اللسان، فقط.

٣ ـ **مرجئة الفقهاء**: تصديق القلب، ونطق اللسان، فقط، وأما الأعمال فليست داخلة في حد الإيمان وحقيقته، بل هي من ثمراته.

والرد على المرجئة من وجوه، منها:

أولاً: أن الله سمَّى الأعمال إيماناً، فقال في شأن من صلُّوا إلى بيت المقدس، وماتوا قبل تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم.

ثانياً: أن النبي ﷺ نفى الإيمان المطلق عن مرتكب الكبائر العملية، فقال: «**لا يزني الزَّاني حينَ يزني وهو مؤمنٌ، ولا يَسرِقُ السارقُ**

Black plate (83,1)

حينَ يسرقُ وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمرَ حينَ يشربُها وهو مؤمنٌ، ولا ينتهبُ نُهبةً ذاتَ شرفٍ، يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهُم، حين ينتهبُها، وهو مؤمنٌ» متفق عليه[(١)].

ومنشأ فساد مقالة كلا الطائفتين؛ الوعيدية، والمرجئة، من اعتقادهم أن الإيمان شيء واحد، إما أن يوجد كله، أو يعدم كله! فأما المرجئة فأثبتوه بمجرد الإقرار؛ بالقلب، أو اللسان، أو بهما معاً، ولو لم يعمل البتة، فهم أهل تفريط. وأما الوعيدية فنفوه بأدنى كبيرة، فهم أهل إفراط. فمقدمتهما واحدة، ونتيجتاهما متضادتان!

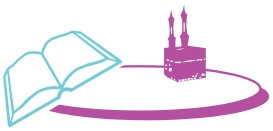

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.